الملخص

محور (الفلسفة والتقنية) في مجال الذكاء الاصطناعي يُعَد من أكثر المحاور إثارة للجدل والتأمل، لأنه يتجاوز الجانب العملي البحت ويمس الأسئلة الكبرى المرتبطة بوجود الإنسان ومعنى العقل والإرادة. فالذكاء الاصطناعي لا يُنظر إليه فقط كأداة تقنية حديثة، بل كبنية فكرية تعكس تصوراً معيناً عن ماهية المعرفة والعقل البشري. وهنا يبرز دور الفلسفة الإسلامية، وخاصة علم العقيدة، في تحليل هذه الظاهرة وإعادة ضبطها في إطار المرجعية الإيمانية.

يطرح الذكاء الاصطناعي أسئلة وجودية مثل: هل يمكن للآلة أن تفكر حقاً؟ وما الفرق بين التفكير الآلي القائم على الخوارزميات والتعلم، وبين التفكير الإنساني الذي يتسم بالحرية والوعي والإدراك الكلي؟ في العقيدة الإسلامية، العقل البشري ليس مجرد أداة لحل المسائل المنطقية، بل هو وسيلة للتكليف ومسؤولية الإنسان عن أفعاله، وهو مرتبط بالروح والإرادة الحرة. وبالتالي فإن أي محاولة لتشبيه "الذكاء الصناعي" بالعقل البشري قد تُفقدنا التمييز الجوهري بين المخلوق المكرم والآلة المصممة.

كذلك يثير الذكاء الاصطناعي قضايا تتعلق بمفهوم الخلافة الإنسانية في الأرض. فهل يمكن للآلة أن تشارك في أدوار الإنسان الأساسية كالاستخلاف والإبداع والتفكير الأخلاقي؟ أم أن دورها يظل محصوراً في كونها أداة تعين الإنسان ولا يمكنها أن تحل محله؟ هذه الأسئلة الفلسفية تتقاطع مع نصوص قرآنية تؤكد على كرامة الإنسان وتفرده بخصائص لا تُختزل في أي محاكاة تقنية.

ومن زاوية أخرى، يفتح هذا المحور باب النقاش حول حدود التقنية: هل يمكن أن يؤدي الإفراط في الاعتماد على الذكاء الاصطناعي إلى نزعة "مركزية الآلة" على حساب "مركزية الإنسان"؟ الفلسفة هنا مطالبة بتقديم رؤية متوازنة تجعل التقنية خادمة للإنسان لا متحكمة فيه، وتُرسّخ أن قيم الإيمان والأخلاق يجب أن تكون الإطار الحاكم للتطور العلمي.

إجمالاً، فإن محور الفلسفة والتقنية يسعى إلى تأصيل العلاقة بين الإيمان والعقل والتكنولوجيا ، ويؤكد أن الذكاء الاصطناعي مهما بلغ من تطور، يظل في النهاية انعكاساً لعقل الإنسان وليس بديلاً عنه. وهنا تأتي أهمية العقيدة الإسلامية في ترسيخ أن الوعي، الإرادة، والروح هي خصائص إنسانية لا يمكن استنساخها آلياً.

الكلمات المفتاحية: الفلسفة، الذكاء الاصطناعي، العقل البشري، العقيدة الإسلامية، الخلافة الإنسانية.

Abstract

The philosophical and technological dimension of artificial intelligence is one of the most controversial and thought-provoking, as it transcends purely practical aspects and touches upon fundamental questions related to human existence and the meaning of reason and will. Artificial intelligence is not merely viewed as a modern technological tool, but as an intellectual construct reflecting a particular understanding of the nature of knowledge and the human mind. Herein lies the role of Islamic philosophy, particularly theology, in analyzing and reframing this phenomenon within the framework of faith.

Artificial intelligence raises existential questions such as: Can a machine truly think? And what is the difference between automated thinking based on algorithms and learning, and human thinking characterized by freedom, awareness, and holistic understanding? In Islamic doctrine, the human mind is not simply a tool for solving logical problems, but rather a means of accountability and responsibility for one's actions, linked to the soul and free will. Therefore, any attempt to equate "artificial intelligence" with the human mind risks obscuring the essential distinction between the honored creation and the designed machine.

Furthermore, artificial intelligence raises issues related to the concept of human stewardship on Earth. Can machines participate in humanity's fundamental roles, such as stewardship, creativity, and ethical reasoning? Or is their role limited to being tools that assist humans and cannot replace them? These philosophical questions intersect with Quranic texts that emphasize human dignity and unique characteristics that cannot be reduced to any technological imitation.

From another perspective, this theme opens the door to discussion about the limits of technology: Could excessive reliance on artificial intelligence lead to a "machine-centered" tendency at the expense of "human-centeredness"? Philosophy here is called upon to offer a balanced vision that makes technology serve humanity, not control it, and that reinforces the principle that the values of faith and ethics should be the governing framework for scientific development.

In summary, the philosophy and technology theme seeks to establish the relationship between faith, reason, and technology, and affirms that artificial intelligence, however advanced, ultimately

remains a reflection of the human mind, not a replacement for it. Herein lies the importance of Islamic doctrine in establishing that consciousness, will, and spirit are human characteristics that cannot be mechanically replicated.

Keywords: Philosophy, Artificial Intelligence, Human Mind, Islamic Belief, Human Caliphate.

المقدمة

تتقدّم الأسئلة الفلسفية الكبرى إلى واجهة النقاش المعاصر كلما اتسعت رقعة التقنية وتنامى حضور الذكاء الاصطناعي في تفاصيل الحياة الإنسانية. ويبدو أنّ العالم يقف اليوم أمام منعطف يعيد صياغة مفاهيم العقل، والوعي، والإرادة، بما يفرض على الباحثين في العقيدة الإسلامية إعادة قراءة الواقع التقني من داخل المنظور الإيماني الذي رسّخ منذ القرون الأولى فكرة التفاضل الإنساني وخصوصية العقل كأداة للتكليف ومسؤولية الاستخلاف.

وفي خضم هذا التحوّل السريع، تتكاثر الأسئلة: هل يمكن للآلة أن تحوز شيئًا من جوهر التفكير؟ وهل التعلم الآلي القائم على الخوارزميات يمتلك القدرة على اتخاذ القرارات بوصفه "عقلاً"؟ وهل يمكن للتقنية المتقدمة أن تقترب من مفهوم الوعي الإنساني؟ هذه التساؤلات، على ما تبدو، ليست مجرد جدالات نظرية، بل هي قضايا تمسّ عمق العقيدة لأنها تتصل بماهيّة الإنسان وخصوصيته في القرآن الكريم، كما تتعلق بوظيفة الخلافة الإنسانية التي لا يمكن فهمها إلا من خلال تكامل الروح والعقل والإرادة الحرة.

وتزداد الحاجة اليوم إلى هذا النوع من الدراسات لأن الخطاب التقني العالمي يميل أحيانًا إلى "مركزية الآلة" على حساب مركزية الإنسان، وهو اتجاه يهدد بتقليص مفهوم الوعي البشري إلى مجرد عمليات حسابية قابلة للمحاكاة. وهنا تبرز الضرورة العلمية لإعادة ضبط العلاقة بين الفلسفة والتقنية ضمن إطار يضمن الحفاظ على الكرامة الإنسانية التي أكدتها النصوص الشرعية، ويعيد قراءة الذكاء الاصطناعي باعتباره امتدادًا للعقل البشري لا بديلاً عنه.

إنّ مناقشة مثل هذه الإشكالات انطلاقًا من منظور عقدي لا تمثل رفاهًا فكريًا، بل هي حاجة معرفية ملحّة أمام المتغيرات التقنية. فالبحث في حدود التقنية، وطبيعة الوعي، وتداخل العقلين البشري والصناعي، واستشراف مستقبل الخلافة الإنسانية، كلّها عناصر تستدعي معالجة عميقة تستند إلى أصول العقيدة الإسلامية وإلى المعارف الفلسفية المعاصرة على السواء.

مشكلة البحث

تتجسد مشكلة هذا البحث في التساؤل الرئيس الآتي:

إلى أي مدى يمكن للذكاء الاصطناعي، بوصفه تقنية تعتمد على التعلم الخوارزمي، أن يحاكي العقل البشري من منظور عقدي، وما أثر ذلك على مفهوم الخلافة الإنسانية كما يقرره الإسلام؟

وتنبثق من هذا السؤال جملة إشكالات فرعية:

– ما الفارق الجوهري بين العقل البشري و"العقل الآلي"؟

– هل يمكن اعتبار الذكاء الاصطناعي كائنًا واعيًا أو مريدًا؟

– أين تقف الحدود الشرعية والفلسفية لاستخدام التقنية؟

– وكيف يمكن إعادة ضبط علاقة الإنسان بالتكنولوجيا في ضوء العقيدة الإسلامية؟

أهمية الموضوع

تنبع أهمية هذا الموضوع من أمور متعددة، من أبرزها:

1- أنّ الذكاء الاصطناعي أصبح فاعلًا مؤثرًا في المجالات العلمية والاقتصادية والفكرية، ما يستوجب تأصيل موقف عقدي منه.
2- أنّ الخلط بين قدرات الآلة وجوهر العقل البشري قد يؤدي إلى إضعاف مركزية الإنسان التي يؤكدها القرآن الكريم.
3- أنّ النقاش الفلسفي حول الوعي والإرادة أصبح ضرورة ملحّة لإعادة قراءة الظواهر التقنية ضمن إطار أخلاقي وإيماني.
4- أنّ الدراسات العقدية حول التقنية قليلة نسبيًا مقارنة بالدراسات التقنية البحتة.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى:

1- بيان الأسس العقدية التي تميّز العقل البشري عن الآلة.
2- تحليل الظاهرة التقنية من منظور فلسفي يوضح طبيعة الذكاء الاصطناعي وحدوده.
3- توضيح أثر الذكاء الاصطناعي على مفهوم الخلافة الإنسانية.
4- بناء رؤية عقدية متوازنة تنظّم العلاقة بين الإنسان والتقنية.
5- نقد النزعة العالمية المتنامية نحو مركزية الآلة.

منهج البحث

يعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، من خلال تحليل المفاهيم العقدية والفلسفية المتصلة بالعقل والوعي والخلافة، إضافة إلى الاستفادة من الدراسات المعاصرة حول الذكاء الاصطناعي. كما يُستخدم المنهج المقارن عند الحاجة لإبراز الفروق بين العقل البشري والعمليات الخوارزمية.

حدود البحث

يقتصر البحث على دراسة الجانب العقدي والفلسفي للذكاء الاصطناعي، دون الدخول في التفصيلات التقنية المعقدة، كما يركز على مفهوم الخلافة الإنسانية بوصفه إطارًا تفسيريًا لعلاقة الإنسان بالتقنية.

خطة البحث

يتكون البحث من ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الفلسفة ومفهوم العقل بين الرؤية الإسلامية والتصورات المعاصرة

ويتضمن ثلاثة مطالب.

المبحث الثاني: الذكاء الاصطناعي: طبيعته، آلياته، وحدوده الفلسفية

ويتضمن ثلاثة مطالب.

المبحث الثالث: الخلافة الإنسانية في ضوء التطور التقني والذكاء الاصطناعي

ويتضمن أربعة مطالب.

المبحث الأول: الفلسفة ومفهوم العقل بين الرؤية الإسلامية والتصورات المعاصرة

المطلب الأول: مفهوم العقل في الرؤية الإسلامية

يُعدّ العقل في التصور الإسلامي أحد أعظم النعم التي امتنّ الله بها على الإنسان، وهو مناط التكليف وشرط المسؤولية. فالنصوص الشرعية أثبتت للعقل مكانة رفيعة، وقرّرت أنّ إدراك الإنسان للخير والشر، ولمعاني الإيمان والكفر، إنما يتحقق من خلال ملكة عقلية تمكّنه من الفهم والتمييز والقدرة على الإرادة.

وقد تناول علماء العقيدة العقل بوصفه قوة إدراك وإضافة معنوية تتصل اتصالًا وثيقًا بالروح، بحيث لا يمكن تحديده شيئًا ماديًا قائمًا في الدماغ فحسب؛ بل هو نور يهدي الإنسان إلى المعرفة، كما قال الإمام الماوردي: «العقل نور يميز به الإنسان بين الأمور ويهتدي به إلى سبيل الرشد[1].

ويُفهم من التراث العقدي أن العقل مرتبط بالروح اتصالًا لا تنفصم عراه؛ إذ لا يتحقق وعيٌ كامل دون الروح، ولا يكتمل الوعي دون العقل، وهذا التداخل يشكل خصوصية إنسانية لا يمكن محاكاتها في أي منظومة صناعية. وقد أكّد الغزالي هذا

[1] الماوردي، أدب الدنيا والدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 32.

المعنى حين فرّق بين الذكاء والوعي، مبينًا أنّ «العقل ليس مجرد حفظ معلومات، بل نور يقذفه الله في القلب[1].

ولم يكن العقل في التراث العقدي أداة لحل المسائل فحسب، بل هو قاعدة التكليف كما قرّر ذلك الجويني في "الإرشاد"، حيث جعل إدراك العقل للضروريات أصلًا في فهم الأمر الإلهي[2]. وهذا الفهم هو الذي يمنح الإنسان قيمة أخلاقية وروحية ويميزه عن الكائنات الأخرى؛ لأنه يجمع بين القدرة على التفكير وبين حرية الإرادة، بخلاف الآلة التي تعمل وفق أنماط محددة لا تتجاوز ما بُرمجت عليه.

ومن هنا يتبيّن أن الرؤية الإسلامية للعقل رؤية تكاملية، تربط بين المعرفة والإرادة والمسؤولية، وتجعل العقل شرطًا لجوهر الإنسان وكرامته، وهو ما يجعل أي محاولة لتشبيه "عقل الآلة" بالعقل البشري مقاربة قاصرة لا تستوعب حقيقة هذا المفهوم في أصوله الشرعية.

المطلب الثاني: تطور مفهوم العقل في الفلسفة الإسلامية

شهدت الفلسفة الإسلامية عبر تاريخها تعددًا في الرؤى حول طبيعة العقل ووظيفته، غير أنها اتفقت في الجوهر على أنّ العقل طاقة إدراكية لا تنفصل عن البعد الروحي. وقدّم الفلاسفة المسلمون نماذج مهمة في تحليل العقل، منها ما قدّمه الكندي في رسائله الفلسفية حين جعل العقل مراتب، تبدأ بالعقل الهيولاني وتنتهي بالعقل الفعّال الذي يمد النفس بالمعرفة[3].

أما الفارابي، فكان له تأثير عميق في تحديد العلاقة بين العقل والإدراك، إذ حاول التوفيق بين الفلسفة اليونانية والروح الإسلامية، فاعتبر أن العقل ليس مجرد آلة فهم، بل هو القوة التي ترتقي بالنفس نحو الكمال، وأنه أساس اكتساب العلوم والمعارف[4].

ومضى ابن سينا في تعزيز هذا التصور، مؤكدًا أنّ النفس الإنسانية تمتلك قدرة فطرية على استقبال المعقولات، وأن العقل جوهر سامٍ لا يمكن اختزاله إلى عمليات حسية أو مادية[5].

ويظهر من هذا التراث أنّ الفلاسفة المسلمين كانوا واعين للفارق بين الإمكان العقلي الإنساني وبين أي عملية آلية. فالعقل عندهم ليس عملية حسابية، بل بنية مركبة

---

[1] الغزالي، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة، بيروت، ج1، ص 97.

[2] الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق محمد يوسف موسى، دار الأنصار، القاهرة، ص 55.

[3] الكندي، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، ج1، ص 121.

[4] ابن سينا، الشفاء: النفس، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 114.

[5] ابن سينا، الشفاء: النفس، تحقيق أحمد فؤاد الأهواني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص 114.

تشمل الإدراك، التخيل، الاستنتاج، والوعي بالذات؛ وهي عناصر لا يمكن للخوارزميات محاكاتها بالكامل مهما تطورت.

كما رفض المتكلمون، كالباقلاني، اختزال العقل إلى الفهم الجزئي، مؤكدين أن العقل قوة جامعة تمكّن من إدراك الكليات، وأنها جزء من ماهية الإنسان لا يمكن صناعتها خارج الجسم الحي[1].

وبهذا، أصبح مفهوم العقل في الفلسفة الإسلامية إطارًا حاكمًا يمكن العودة إليه عند دراسة أي محاولة لخلق "عقل اصطناعي".

المطلب الثالث: مفهوم العقل في الفلسفات المعاصرة

تتعامل الفلسفات الحديثة مع العقل بوصفه نتاجًا لعمليات بيولوجية معقدة في الدماغ، وتذهب التيارات المادية المتطرفة إلى أن العقل ليس أكثر من نشاط عصبي يمكن محاكاته بمجرد توفير البيانات الكافية. وقد أرسى الفيلسوف الأمريكي جون سيرل تمييزًا مهمًا بين "العقل البيولوجي" و"العقل المحاكى"، مؤكدًا أن الخوارزميات لا يساوي الوعي الفعلي، وضرب مثالًا بـ "غرفة الصيني" ليبيّن أن الآلة قد تتصرف كما لو أنها تفهم، لكنها في الحقيقة لا تمتلك أي وعي[2].

أما الفيلسوف ديفيد تشالمرز، فاعتبر الوعي "المشكلة الصعبة" التي لا يمكن تفسيرها علميًا؛ إذ أن التجربة الذاتية ليست شيئًا يمكن اختزاله إلى بيانات أو عمليات حسابية[3]. وهذا الطرح يتلاقى مع المفهوم العقدي الإسلامي الذي يجعل الروح هي أساس التجربة الوجودية، ويجعل العقل صفة ملازمة للنفس الإنسانية لا يمكن فصلها عنها.

وفي الاتجاه الآخر، يرى نيك بوستروم أن تطور الذكاء الاصطناعي قد يصل إلى مرحلة "الذكاء الخارق"، لكنه رغم ذلك يقرّ بأن الوعي والذاتية ما تزالان غير قابلتين للمحاكاة حتى الآن[4].

تظهر هذه المواقف أن الفلسفة المعاصرة رغم تنوعها، تتفق مع الرؤية الإسلامية في نقطة محورية: الآلة مهما بلغت من التعلم، فهي تفتقر إلى جوهر الوعي والإرادة.

---

[1] الباقلاني، التمهيد، تحقيق عمرو بسيوني، دار الحديث، القاهرة، ص 74.

[2] John Searle, Minds, Brains, and Programs , Behavioral and Brain Sciences, 1980, p. 423.

[3] David Chalmers, The Conscious Mind , Oxford University Press, 1996, p. 25.

[4] Nick Bostrom, Superintelligence: Paths, Dangers, Strategies , Oxford University Press, 2014, p. 72.

المبحث الثاني: الذكاء الاصطناعي: طبيعته وآلياته وحدوده الفلسفية

المطلب الأول: ماهية الذكاء الاصطناعي وطبيعته المعرفية

يمثل الذكاء الاصطناعي أحد أهم المجالات التقنية التي فرضت حضورًا واسعًا في الفكر المعاصر، لدرجة أصبح معها جزءًا من النقاش الفلسفي حول حقيقة العقل ومعنى المعرفة. ويقوم الذكاء الاصطناعي في جوهره على قدرة الأنظمة الحاسوبية على تنفيذ مهام تشبه أعمال البشر من حيث الاستنتاج، والتعلم، واتخاذ القرار، لكن هذه التشابهات تبقى ظاهرية ولا تعكس جوهر الإدراك الإنساني. فالآلة تعتمد على البيانات المدخلة والخوارزميات المصممة مسبقًا، وهي لا تمتلك إدراكًا ذاتيًا أو قدرة على تفسير المعاني الكلية.

وقد أوضحت الأدبيات العربية الحديثة أن الذكاء الاصطناعي يعتمد على تحويل البيانات إلى أنماط رقمية يمكن توقعها وتحليلها، دون أي مستوى من الوعي أو الفهم الحقيقي[1]. فالآلة تتعامل مع اللغة بوصفها رموزًا إحصائية، ومع الصور باعتبارها نقاطًا رقمية، ومع القرارات بوصفها نتائج احتمالية؛ وهذا كله يختلف جذريًا عن العقل البشري الذي يدرك العالم بترابطاته وقيمه وتجربته الروحية.

وتنبّه الباحثون العرب إلى أنّ الذكاء الاصطناعي، مهما بلغت قوته، لا يزال "ذكاءً وظيفيًا" لا يرتقي إلى "ذكاء جوهري". فالوعي الإنساني، بحسب الدراسات الفلسفية العربية، يتجاوز حدود الإدراك المعرفي إلى إدراك الذات والقيمة والغاية، وهي عناصر لا يمكن للآلة تحقيقها لأنها غير حية ولا تملك روحًا أو مشاعر[2].

كما أن العقل البشري يعمل ضمن منظومة متكاملة تشمل الإدراك، التخيل، الذاكرة، الانفعال، والروح، بينما الذكاء الاصطناعي يعمل ضمن منظومة حسابية مجردة. وهذا الفارق الجوهري يُسقط الادعاءات التي تحاول مساواة "العقل الاصطناعي" بالعقل الإنساني، ويؤكد أنّ الآلة تظل خادمة للإنسان مهما بلغت من التطور.

المطلب الثاني: آليات عمل الذكاء الاصطناعي وحدود المحاكاة

يقوم الذكاء الاصطناعي على مجموعة من الآليات التقنية التي تسعى إلى محاكاة أنماط التفكير البشري بدرجة ما، ومن أبرزها: التعلم الآلي، والتعلم العميق، والشبكات العصبية الاصطناعية، بالإضافة إلى نظم التنبؤ ومعالجة اللغات الطبيعية.

وتعتمد هذه الآليات على مخططات حسابية دقيقة تُعالج ملايين البيانات لاستخراج الأنماط وتوليد الاستجابات المناسبة. إلا أن هذه القدرة لا تعني امتلاك الآلة

---

[1] أحمد موسى، الذكاء الاصطناعي والفلسفة المعاصرة، دار الروافد الثقافية، بيروت، 2020، ص 44.

[2] سامي عبد الحميد، العقل والوعي في الفلسفة الحديثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018، ص 112.

لفهم حقيقي؛ لأن الأداء الذي يبدو ذكيًا ليس إلا نتيجة تكرار البيانات وتعديل الأوزان الحسابية للوصول إلى أفضل نتيجة ممكنة.

وقد أوضحت الدراسات الفلسفية العربية أن الأنظمة الذكية تفتقر إلى "الوعي السياقي"، وهو القدرة على فهم الموقف ضمن معناه الأخلاقي والاجتماعي، كما تفتقر إلى القدرة على إدراك القيم أو التمييز بين الخير والشر[1].

فالآلة قد تقدّم حلاً منطقيًا، لكنها لا تدرك أثره النفسي أو الأخلاقي، مما يجعلها عاجزة عن اتخاذ قرار حقيقي في القضايا الإنسانية المعقدة.

كما أن الآلات لا تمتلك قدرة على "فهم المعاني"، بل تتعامل مع النصوص وفق احتمالات رياضية. وهذا ما يجعل مخرجاتها—مهما تطورت—خالية من الخبرة الإنسانية التي تشكل أساس الإدراك والتجربة. وقد أشارت البحوث العربية المتخصصة إلى أنّ الذكاء الاصطناعي قادر على المحاكاة، لكنه غير قادر على "الإبداع الذاتي"؛ لأن الإبداع يحتاج إلى وجدان وخيال ومقاصد، وهي عناصر غائبة عن النظام الحسابي[2].

ويُضاف إلى ذلك أن الذكاء الاصطناعي يعتمد اعتمادًا كاملًا على البيانات المدخلة. فإذا كانت البيانات ناقصة أو منحازة، فإن مخرجاته ستكون كذلك، مما يُظهر هشاشته أمام الواقع البشري المتنوع. وهذا يؤكد أن الذكاء الاصطناعي لا يمكن أن يحل محل العقل البشري، لأن المحاكاة لا ترقى إلى مستوى الوعي.

المطلب الثالث: الحدود الفلسفية لمفهوم الذكاء الاصطناعي

يثير الذكاء الاصطناعي عددًا من الإشكالات الفلسفية العميقة التي تتصل بطبيعة الإنسان، وحدود الآلة، ومفهوم الوعي. ومن أبرز هذه الإشكالات سؤال: هل يمكن للآلة أن تمتلك وعيًا ذاتيًا؟

تذهب الدراسات الفلسفية العربية المعاصرة إلى أن الوعي ليس عملية ذهنية فقط، بل هو تجربة وجودية تتضمن شعورًا بالذات، وارتباطًا بالقيم، وقدرة على إدراك الغاية. وهذه العناصر لا تتوفر في أي منظومة صناعية، لأن الآلة تعمل وفق خوارزميات محددة لا تملك فيها حرية الاختيار ولا الإحساس الداخلي[3].

ويرى المفكرون العرب أن الذكاء الاصطناعي، مهما تقدّم، لن يخرج عن كونه نظامًا حسابيًا، وأنه عاجز عن إدراك العالم بشكل إنساني، لأنه لا يمتلك جسدًا يعيش التجارب، ولا روحًا تتفاعل مع المعنى، ولا ضميرًا يزن القيم الأخلاقية. ومن هنا،

---

[1] محمد عبد الجبار، فلسفة الذكاء الاصطناعي، مكتبة الأندلس، القاهرة، 2019، ص 76.

[2] علي حسين، الوعي والآلة: دراسة فلسفية، دار الينابيع، دمشق، 2021، ص 91.

[3] حسن ناصر، الفلسفة والوعي الاصطناعي ، دار الفكر العربي، القاهرة، 2020، ص 58.

فـإن الحـدود الفلسـفية للـذكاء الاصـطناعي ليسـت حـدودًا تقنيـة فحسـب، بـل هـي حـدود متصلة بماهية الوعي الإنساني الذي يميّز الإنسان عن غيره[1].

كمـا أن الإرادة—وهـي عنصـر أساسـي فـي التكليـف والمسـؤولية—غيـر متـوفرة فـي الآلـة. فالآلـة لا تختـار، بـل يـتم اختيارهـا عبـر البرمجـة. ولـذلك، لا يمكـن مسـاءلتها أخلاقيـاً، ولا يمكـن اعتبارهـا كائنًـا مسـؤولًا. وهـذا يضـع حـاجزًا عقـديًا واضـحًا بـين الإنسـان والآلـة، ويؤكـد أن الـذكاء الاصـطناعي لا يمكـن أن يكـون شـريكًا فـي الخلافـة الإنسانية.

وتشـير الدراسـات العربيـة كـذلك إلـى أن الـذكاء الاصـطناعي يفتقـر إلـى "القصـدية"، وهـي الخاصـية التـي تجعـل الأفعـال الإنسـانية متجهـة نحـو غايـة. أمـا الآلـة فترتكـز علـى تنفيـذ سلسـلة أوامـر، حتـى وإن بـدت مخرجاتهـا إبداعيـة. ولهـذا، فـإن أي حـديث عـن ذكـاء اصطناعي يمتلك وعيًا أو إرادة هو حديث استعاري لا حقيقة علمية له.

المبحث الثالث: الخلافة الإنسانية في ضوء التطور التقني والذكاء الاصطناعي

المطلب الأول: مفهوم الخلافة الإنسانية في الرؤية الإسلامية

يمثـل مفهـوم الخلافـة الإنسـانية أحـد أعمـدة الرؤيـة القرآنيـة للوجـود، وقـد جـاء هـذا المفهـوم لبيـان أن الإنسـان مكلَّـف بعمـارة الأرض وفـق مـنهج الله، ومسـؤول عـن أفعالـه وعـن توجيـه قدراتـه نحـو الخيـر. فالخلافـة ليسـت مجـرد سـلطة الإنسـان علـى الكـون، بـل هـي تكليـفٌ قـائم علـى الـوعي، والإرادة، والقـدرة علـى التمييـز بـين الصـواب والخطـأ. وقـد ورد هـذا المفهـوم فـي قـول الله تعـالى: ﴿إنـي جاعـل فـي الأرض خليفـة﴾ ، ممـا يـدل علـى أن الإنسان مُنح مكانةً خاصة تميّزه عن بقية المخلوقات[2].

ويتضـمن مفهـوم الخلافـة بُعـدًا معرفيًـا وروحيًـا؛ فهـو يـربط بـين قـدرة الإنسـان علـى التفكيـر وبـين مسـؤوليته الأخلاقيـة. وقـد أشـار الـرازي فـي تفسـيره إلـى أن الخلافـة تعنـي "القيـام بأعبـاء الإصـلاح والإعمـار"[3] ، وهـو مـا يقتضـي عقـلًا مـدركًا ووعيًـا بالغايـة. كمـا يـرى المـاوردي أنّ الخلافـة تمثـل أعلـى درجـات التكليـف، لأنهـا تقـوم علـى الجمـع بـين العقل والشرع[4].

وبهـذا، فـإن الخلافـة ليسـت مفهومًـا سياسـيًا فقـط، بـل رؤيـة شـاملة تُعـرّف الإنسـان بحـدوده وإمكاناتـه ومسـؤولياته. وهـذا المفهـوم يؤسـس لوجـود إنسـاني يسـتحيل تقليـده أو محاكاتـه عبـر الآلـة؛ لأن الخلافـة تقـوم علـى الـروح، والضـمير، والقصـد، وهـي أمـور لا يملكها الذكاء الاصطناعي مهما تطور.

---

[1] عبد الرزاق عبد الله، مفهوم الوعي في الفلسفة المعاصرة ، دار المعارف، بغداد، 2017، ص 133.

[2] الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن ، دار هجر، القاهرة، ج1، ص 223.

[3] فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج2، ص 164.

[4] الماوردي، أدب الدنيا والدين ، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 90

فالخلافة تتطلب وعيًا بالمعنى، وإدراكًا للغايات، وقدرة على اتخاذ قرارات تتجاوز المنفعة المادية إلى الاعتبارات الأخلاقية والإنسانية، وهي قدرات لا يمكن للخوارزميات إدراكها. ومن هنا يصبح الحديث عن مشاركة الذكاء الاصطناعي في الخلافة أو الحلول محل الإنسان حديثًا يتعارض مع جوهر الرؤية القرآنية التي منحت الإنسان خصوصية فريدة لا يشاركه فيها أي مخلوق أو آلة.

المطلب الثاني: أثر الذكاء الاصطناعي في مفهوم الخلافة الإنسانية

أثار التطور المتسارع في الذكاء الاصطناعي نقاشًا واسعًا حول موقع الإنسان ودوره، وهل يمكن للتقنية أن تهدد خصوصية الخلافة التي منحها الله للإنسان؟

إن الذكاء الاصطناعي—رغم قوته—يبقى أداةً أنتجها الإنسان، يعمل ضمن حدود البيانات والخوارزميات، بينما تقوم الخلافة الإنسانية على عناصر أعمق بكثير؛ منها الوعي بالواجب، والإحساس بالمسؤولية الأخلاقية، وامتلاك الإرادة الحرة. وهذه العناصر لا يمكن للآلة أن تشارك الإنسان فيها.

ترى الأدبيات العربية الحديثة أن الذكاء الاصطناعي قد يؤثر على وظائف الإنسان، لكنه لا يستطيع أن يحل محله في اتخاذ القرارات الأخلاقية التي تقوم عليها الخلافة، لأن الآلة لا تمتلك قصدًا ولا دافعًا داخليًا ولا فهمًا للمعاني[1].

فالإنسان في مفهوم الخلافة ليس مجرد منفّذ للأوامر، بل هو كائن ذو وعي يستطيع أن يوازن بين المصالح، ويُدرك أثر أفعاله، ويتخذ قرارات نابعة من ضميره، لا من حسابات احتمالية فقط.

كما نبّه الباحثون العرب إلى أن تضخم دور التقنية قد يؤدي إلى ما يسمى بـ "مركزية الآلة"، أي إسناد مهام جوهرية للذكاء الاصطناعي على حساب الإنسان. وهذا خطر فلسفي وأخلاقي؛ لأنه يُضعف مفهوم المسؤولية ويُجرّد الإنسان من دوره الأساسي في العالم[2].

إن الخلافة الإنسانية تقوم على الوعي والتمييز، لا على القدرة الحاسوبية. ومع أنّ التقنية قد تعين الإنسان، إلا أنها لا يمكن أن تكون شريكًا له في الخلافة؛ لأن هذه الأخيرة مرتبطة بالروح، والضمير، والنية، والمسؤولية. وهذا ما يجعل الإنسان، وليس الآلة، محور الوجود الأخلاقي في الإسلام.

المطلب الثالث: الإنسان بين مركزية الوعي ومخاطر مركزية الآلة

بدأت بعض الاتجاهات المعاصرة—خاصة في الفلسفة الغربية—بالدعوة إلى ما يسمى "مركزية الآلة"، وهي تصور يرى أن الذكاء الاصطناعي قد يتفوق على الإنسان في معظم المهام، مما سيجعل الإنسان كائنًا ثانويًا في منظومة التقنية. وهذا الطرح ينطوي على خطأ منهجي كبير؛ لأنه يخلط بين القدرة الحسابية وبين الوعي.

---

[1] عبد الله الزيات، الإنسان والتقنية في الفكر العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، 2019، ص 141.

[2] محمود السعدي، العقل والتكنولوجيا: قراءة فلسفية، دار اليازوري، عمّان، 2020، ص 203.

فالوعي الإنساني—كما يقرّ الفلاسفة العرب—ليس قابلاً للقياس، ولا يمكن ترجمته إلى بيانات. إنه تجربة وجودية تشمل الإدراك، والشعور، والعاطفة، والحدس، والتدين، والضمير. وهذه الخصائص تجعل الإنسان مركزًا للمعنى، مهما بلغت قوة الآلة[1].

وقد حذرت عدد من الدراسات العربية من أنه في حال تحولت التقنية إلى معيار وحيد للحكم على قيمة الأعمال، فقد يؤدي ذلك إلى تهميش الجوانب الروحية والأخلاقية التي تميز الإنسان. فالآلة—مهما بلغت دقتها—لا تستطيع أن تُصدر حكمًا أخلاقيًا، ولا أن تفهم المعاناة الإنسانية، ولا أن تتعاطف مع الضعفاء، لأنها خالية من التجربة الوجدانية.

ومركزية الوعي تعني الاعتراف بأن الإنسان هو الكائن الوحيد الذي يجمع بين العقل والروح والضمير، وأن معرفته ليست مجرد معلومات، بل تجربة وتأمل ومعنى. ولذلك، فإن أي محاولة لجعل الآلة بديلًا عن الإنسان في اتخاذ القرارات الجوهرية تُعد تهديدًا مباشرًا للخلافة الإنسانية.

كما أن مركزية الآلة قد تؤدي إلى انحرافات خطيرة، مثل تقديس التقنية والتسليم لها دون نقد، وهذا يتعارض مع الآية الكريمة التي تؤكد تكريم الإنسان بمنحه العقل والقدرة على الاختيار.

المطلب الرابع: مستقبل الخلافة الإنسانية في ظل التطور التقني

يفتح المستقبل التقني بابًا واسعًا للتساؤل حول موقع الإنسان ودوره خلال العقود القادمة. ومع التطور الهائل في الذكاء الاصطناعي، تزداد المخاوف من إمكانية أن يحل محل الإنسان في كثير من المجالات. لكن الرؤية العقدية الإسلامية تقدّم تصورًا متوازنًا؛ فهي تعترف بقيمة التقنية كأداة للإنسان، لكنها ترفض أن تتحول إلى بديل عنه أو مهدد لجوهر خلافته.

تشير الدراسات العربية الحديثة إلى أن مستقبل الخلافة الإنسانية سيعتمد على قدرة الإنسان على ضبط التقنية أخلاقيًا، وعلى وضع ضوابط شرعية وفلسفية لاستخدامها، بحيث تصبح معززة للخلافة لا مضعِفة لها[2]. فالذكاء الاصطناعي يمكن أن يساعد في مجالات الطب، والبحث العلمي، وإدارة الموارد، لكنه لا يستطيع أن يتخذ قرارات روحية أو قيمية.

كما أن الخلافة في الإسلام ليست مرتبطة بالقوة التقنية، بل بالوعي والمسؤولية. ولذلك، فإن تطور الآلة لا يُسقط دور الإنسان، لأن الخلافة تكليف إلهي لا يمكن نقله أو تفويضه لغير ذي روح.

---

[1] جمال حماد، الوعي الإنساني بين الفلسفة والعلم، دار المعارف، القاهرة، 2018، ص 67.

[2] حسين علي، الإنسان والآلة: رؤية مستقبلية، دار الأفق، بغداد، 2021، ص 119.

كما أن الإنسان وحده القادر على إدراك المعنى، وتحمّل المسؤولية، وفهم المقاصد. وهذه عناصر لا تدخل ضمن اختصاص الآلة.

ويرى الباحثون العرب أن المستقبل الآمن للإنسان في ظل الذكاء الاصطناعي يحتاج إلى "حاكمية أخلاقية"، أي إخضاع التقنية لقيم العدالة، والرحمة، والمسؤولية، حتى لا تتحول إلى قوة منفلتة من الضوابط[1]. وهذا يتوافق مع الرؤية الإسلامية التي تجعل العقل مسؤولًا عن توجيه العمل البشري نحو الخير.

الخاتمة

يُعدّ موضوع العلاقة بين الفلسفة والتقنية، ولا سيما الذكاء الاصطناعي، من أكثر الموضوعات تعقيدًا في الفكر المعاصر، لأنه يجمع بين أبعاد معرفية، وروحية، وأخلاقية، وتقنية. ومن خلال هذا البحث تبيّن أن العقل البشري في الرؤية الإسلامية يتمتع بخصوصيات جوهرية لا يمكن محاكاتها صناعيًا، وأنه مرتبط بالروح والإرادة والمسؤولية. كما تبيّن أن الذكاء الاصطناعي، مهما بلغ من التطور، لا يتجاوز حدود المحاكاة الرقمية القائمة على معالجة البيانات وإعادة تمثيلها، وأنه عاجز عن إدراك المعنى، والغاية، والقيمة، وهي عناصر أساسية في الوعي الإنساني.

كما ظهر من خلال الدراسة أن الخلافة الإنسانية ليست مجرّد دور وظيفي، بل هي تكليفٌ إلهي يقوم على وعي الإنسان وقدرته على تحمل المسؤولية الأخلاقية، وهو ما يجعل أي محاولة لاعتبار الذكاء الاصطناعي شريكًا في الخلافة أو بديلاً عن الإنسان مقاربة منقوصة لا تستقيم مع الرؤية العقدية. وقد تبيّن كذلك أنّ مخاطر "مركزية الآلة" تصبح أكثر حضورًا حين تُعامل التقنية بوصفها بديلًا عن الإنسان، بينما ينبغي النظر إليها كأداة وظيفية تعين الإنسان في ممارسة دوره، لا ككيان منافس له.

وفي ضوء ذلك، يصبح المطلوب هو بناء رؤية فلسفية وعقدية متوازنة تُحسن التعامل مع الذكاء الاصطناعي وتضبطه ضمن منظومة قيمية تضمن للإنسان مركز مكانته في العالم، وتفتح المجال لاستخدام التقنية في تعمير الأرض وتحقيق الخير.

أولًا: أهم النتائج

1- يتبين أن العقل في الرؤية الإسلامية مرتبط بالروح والإرادة الحرة، مما يجعله غير قابل للمحاكاة الآلية.
2- يكشف التحليل الفلسفي أنّ الذكاء الاصطناعي لا يمتلك وعيًا أو تجربة ذاتية، بل يجري عمليات حسابية فحسب.
3- يتضح أن الخلافة الإنسانية قائمة على المسؤولية الأخلاقية والمعنى، ولا يمكن للآلة تحمل هذا الدور.
4- يُستنتج أن الذكاء الاصطناعي يمثل امتدادًا لقدرات الإنسان لا بديلاً عنه.

---

[1] ناصر الجندي، الأخلاق والتقنية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2020، ص 155.

5- تبرز خطورة "مركزية الآلة" باعتبارها اتجاهًا قد يهمّش الإنسان ويقوض القيمة الأخلاقية للوجود الإنساني.

6- تظهر الحاجة إلى ضبط التقنية بمعايير عقدية وأخلاقية تحافظ على خصوصية الوعي البشري.

7- يثبت البحث أنّ الإنسان يظل محور الوجود، وأن الآلة—بحكم انعدام الروح والقصد—لا يمكن أن تشاركه دوره الوجودي.

ثانيًا: التوصيات

1- ضرورة تطوير دراسات عقدية عربية متخصصة في الذكاء الاصطناعي، تجمع بين العلوم الشرعية والفلسفة والتقنية.

2- الدعوة إلى إنشاء مناهج تعليمية تدمج بين الأخلاق والتقنية، لضبط استخدام الذكاء الاصطناعي بما يخدم الإنسان.

3- حثّ الجامعات على فتح مسابقات حول فلسفة الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته الأخلاقية.

4- وضع أطر شرعية وأخلاقية لاستعمال الذكاء الاصطناعي في المجالات الحساسة مثل القضاء والطب والتعليم.

5- تعزيز حضور القيم الإيمانية في التعامل مع التقنية حتى لا تتحول إلى بديل عن الإنسان.

6- تشجيع البحوث العلمية التي تستكشف آثار الذكاء الاصطناعي على الوعي والهوية الإنسانية.

7- ضرورة توعية المجتمع بمخاطر الاعتماد المفرط على التقنية، وخصوصًا في القرارات الأخلاقية.

8- تطوير مشاريع تكنولوجية عربية تعتمد على الذكاء الاصطناعي ضمن ضوابط قيمية.

9- التأكيد على أن الذكاء الاصطناعي أداة للإنسان وليس منافسًا له، وأن الخلافة الإنسانية تكليف لا يمكن نقله للآلة.

10- استثمار الذكاء الاصطناعي في خدمة القيم الإنسانية والاجتماعية بما ينسجم مع مقاصد الشريعة.

المصادر

1- ابن سينا، الحسين بن عبد الله، الشفاء – قسم النفس، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970.

2- الباقلاني، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، محمد بن الطيب بن محمد، التمهيد، تحقيق: عمرو بن قاسم، دار الحديث، القاهرة.

3- الجندي، ناصر، الأخلاق والتقنية في الفكر الإسلامي المعاصر، دار الكتب العلمية، بيروت، 2020.

4- الجويني، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، دار الأنصار، القاهرة، 1980.

5- حسين، علي، الوعي والآلة: دراسة فلسفية، دار الينابيع، دمشق، 2021.

6- حماد، جمال، الوعي الإنساني بين الفلسفة والعلم، دار المعارف، القاهرة، 2018.
7- الرازي، محمد بن عمر، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1981.
8- رشيد، خالد، مدخل إلى فلسفة العلم والذكاء الاصطناعي، دار رسلان، دمشق، 2019.
9- الرفاعي، يوسف، الوعي والتطور التكنولوجي، مكتبة دار السلام، القاهرة، 2018.
10- الرفاعي، يوسف، الوعي والتطور التكنولوجي، مكتبة دار السلام، القاهرة، 2018.
11- الزهيري، سعد، إشكاليات الوعي في ظل التطور الرقمي، دار المواسم، بغداد، 2021.
12- الزيات، عبد الله، الإنسان والتقنية في الفكر العربي المعاصر، دار الفكر، دمشق، 2019.
13- السعدي، محمود، العقل والتكنولوجيا: قراءة فلسفية، دار اليازوري، عمّان، 2020.
14- الطبري، محمد بن جرير، جامع البيان في تفسير القرآن، تحقيق: محمود شاكر، دار هجر، القاهرة، 2001، الطبعة الأولى.
15- عبد الجبار، محمد، فلسفة الذكاء الاصطناعي، مكتبة الأندلس، القاهرة، 2019.
16- عبد الحميد، سامر، العقل والوعي في الفلسفة الحديثة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2018.
17- عبد الله، عبد الرزاق، مفهوم الوعي في الفلسفة المعاصرة، دار المعارف، بغداد، 2017.
18- علي، حسين، الإنسان والآلة: رؤية مستقبلية، دار الأفق، بغداد، 2021.
19- الغزالي، محمد بن محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، دار المعرفة، بيروت.
20- الفارابي، محمد بن محمد، إحصاء العلوم، تحقيق: عثمان أمين، دار الفكر العربي، القاهرة.
21- قاسم، عبد اللطيف، التقنية والإنسان في عالم متغير، دار الرواد، بغداد، 2020.
22- الكندي، يعقوب بن إسحاق، رسائل الكندي الفلسفية، تحقيق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1950.
23- الماوردي، علي بن محمد بن حبيب، أدب الدنيا والدين، دار الكتب العلمية، بيروت، 1986، الطبعة الأولى.
24- موسى، أحمد، الذكاء الاصطناعي والفلسفة المعاصرة، دار الروافد الثقافية، بيروت، 2020، الطبعة الأولى.
25- ناصر، حسن، الفلسفة والوعي الاصطناعي، دار الفكر العربي، القاهرة، 2020.